المجال الحادي عشر
اتباع الشيطان

ورد النهي في هذا المجال في سياقين عن اتباع الشيطان وخطواته فهو عدونا المبين الظاهر الذي أعلن عداوته لنا وأخبرنا الحق سبحانه بذلك، وأمرنا أن نتخذه عدوا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾(١٦٨)، وقوله عز من قائل: **﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾** (٢٠٨).

وورد في معنى الاتباع: "يقال: تَبِعَهُ واتَّبَعَهُ: قفا أثره، وذلك تارة بالجسم، وتارة بالارتسام والائتمار[١]"، و"الاتباع: اللحاق بالأول[٢]"، و "(اتبع) الشيء سار وراءه وتطلبه ويقال اتبع الإمام حذا حذوه والقرآن والحديث عمل بما فيهما[٣]".

أما لفظ الشيطان فقد ورد في تعريفه: "الشَّيْطَانُ النون فيه أصليّة، وهو من: شَطَنَ أي: تباعد، ومنه: بئر شَطُونٌ، وشَطَنَتِ الدّار، وغربة شَطُونٌ، وقيل: بل النون فيه زائدة، من: شَاطَ يَشِيطُ: احترق غضبا، فَالشَّيْطَانُ مخلوق من النار كما دلّ عليه قوله تعالى: وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ [الرحمن / ١٥]، ولكونه من ذلك اختصّ بفرط القوّة الغضبيّة والحميّة الذّميمة، وامتنع من السّجود لآدم، قال أبو عبيدة: الشّيطان اسم لكلّ عارم من الجنّ والإنس والحيوانات"[٤]، و"الشيطان: هو الشديد البعد عن محل الخير[٥]"، و "الشيطان: هو الشرير من الجن ولهذا يقال للانسان إذا كان شريرا شيطان[٦]".

واتباع الشيطان رأس كل خطيئة، ودليل ظاهر على جهل بل جنون المتبع وظلمه لنفسه دنيا وآخرة، فكيف يقبل من امرئ أن يتبع عدوه المتربص به آناء الليل وأطراف النهار؟! وكيف يقبل من إنسان أن يسير خلف كاره له يتحين الفرص للإيقاع به في شرك

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ١ / ١٦٣

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ١ / ٣١

(٣) المعجم الوسيط، ١ / ٨١

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ١ / ٤٥٤

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ١ / ٤٤٣

(٦) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ١ / ٣٠٧

المعاصي وفخاخ الآثام؟!، وقد حذر الشارع الحكيم لأتباعه المؤمنين طبيعة هذا العدو الذي ظهرت عداوته وتظهر يوميا، ومن "ظهرت عداوته واستبانت، فهو جدير بأن لا يتبع في شيء وأن يفرّ منه، فإنه ليس له فكر إلا في إرداء عدوه[1]".

"واتباع الشيطان: الانقياد إلى وسوسته التي يجدها في نفسه، والتي تلقاها بمعتاده، والعمل بذلك دون تردد، ولا عرض على نظر واستدلال[2]"، وهو لا ريب "يؤدي إلى الضلال في الدنيا، وإلى عذاب النار في الآخرة[3]"، وفي هذا النص الكريم توجيه من الله عز وجل لجماعة المؤمنين: "أن يتلقوا منه هو الأمر في الحل والحرمة، وألا يتبعوا الشيطان في شيء من هذا، لأنه عدوهم، ومن ثم فهو لا يأمرهم بخير، إنما يأمرهم بالسوء من التصور والفعل ويأمرهم بأن يحللوا ويحرموا من عند أنفسهم، دون أمر من الله، مع الزعم بأن هذا الذي يقولونه هو شريعة الله[4]".

والشيطان في إغوائه لأتباعه له خطوات; فهو يتدرج بهم من اللمم إلى كبائر الذنوب، أي لا يدعوهم مباشرة إلى فعل كبار المعاصي بل يتدرج في دعوته وإغوائه، لعلمه بطبيعة النفس البشرية التي فطرت على الطاعة والعبادة، فمن الصعب عليها الانتقال مباشرة إلى المعصية العظيمة دون المرور بالمعصية الصغيرة، ومن ثم جاء النهي في النص الشريف عن اتباع الخطوات.

وقد ورد في تفسير خطوات الشيطان: "واختلف أهل التأويل في معنى "الخطوات". فقال بعضهم: خُطُوات الشيطان: عمله... وقال بعضهم:"خطوات الشيطان"، خَطاياه... وقال آخرون:

"خطوات الشيطان"، طاعته... وقال آخرون:"خطوات الشيطان"، النذورُ في المعاصي... قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في تأويل

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٢ / ١٠٢

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٧ / ١٤٠

(٣) التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، ٢ / ١٦٢٥

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١ / ١٥٥

قوله:"خطوات الشيطان"، قريبٌ معنى بعضها من بعض. لأن كل قائلٍ منهم قولا في ذلك، فإنه أشار إلى نَهي اتباع الشيطان في آثاره وأعماله. غيرَ أن حقيقة تأويل الكلمة هو ما بينت، من أنها"بعد ما بين قَدميه"، ثم تستعمل في جميع آثاره وطُرقه، على ما قد بينت[1]".

وجاء في تفسير الخطوات أيضا: "«خُطُواتِ الشَّيْطانِ»: مجازه آثار الشيطان ومذاهبه ومسالكه، وهو من «خُطُواتِ»..[2]"، و "وقيل: هي طُرقة، أي: لا تسلكوا الطريق التي يدعوكم إليها[3]"، و "وقال غيره: أراد (الله تبارك وتعالى) لا تقتفوا آثاره قال الشاعر[4]":

يـــــا نابـــــذا لو صـــــايا ... إلهـــــه خلـــــف ظهـــــره
وتابعـــا خطـــوات الشـــيطان ... فى كـــــــل أمـــــــره
أراك لم تـــــــر ميتـــــــا ... يهـــــوي إلى قعـــــر قـــــبره

ومن الألفاظ الشائعة في هذا المجال: تتبعوا – خطوات – الشيطان – عدو – مبين.

(١) جامع البيان، الطبري، ٣ / ٣٠١ وما بعدها
(٢) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ٢ / ٦٥
(٣) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ٥ / ٢٨٥
(٤) ثمار القلوب في المضاف والمنصوب، أبو منصور الثعالبي، ١ / ٧٤